رَمَضَانُ ظاهرة فريدة مع النفحات الرمضانية

تقديم الأستاذ الدكتور
محمد الزحيلي
عميد كليّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة
جامعة الشارقة

الحمد للّه رب العالمين، الذي أعزَّ عباده بالتعبّد له، وفتح لهم أبواب الطاعات والخيرات والمبرات.

والصلاة والسلام على رسول الله إمام المتقين، وسيّد العبّاد، وقدوة الصالحين والمتقربين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البَقَرَة: 185]، وبعد:

فإنّ رَمَضَانَ شهر الخيرات والنفحات الإلهية، شهر البر والتقوى، شهر العبادة والتقرب، شهر العطاء والبذل والسخاء، شهر القرآن، شهر القيام والطاعة والزلفى إلى الله تعالى.

رَمَضَانُ فضل إلهي، وعطاء رباني، ومنحة سماوية لأهل الأرض، هو أفضل الشهور عند الله تعالى، ميّزه على سائر الشهور بميزات كثيرة، وخصائص فريدة، وصفات خاصة.

ولذلك يعجز البيان عن وصفه، وإعطائه حقه، ويقصر الخطباء عن الإحاطة به، ويخرس اللسان أمام الواقع الذي يعيشه الناس عملياً في رَمَضَانَ، فهو عملياً أبلغ من كل بيان.

إنه عالم خاص، ولون مستقل، له رائحته الزكية، وطعمه الشهي، ومذاقه الحلو العذب الزلال الجذاب الذي يعرفه من ذاقه، وينتشي فيه من عاشه.

يهلُّ هلال رَمَضَانَ، ويحلّ الشهر المبارك، فيفرض نفسه فلا يلحق به كلام أو بيان، أو مقال أو خطبة، أو ترغيب أو ترهيب، لأنه ـ بذاته وواقعه ـ أقوى من ذلك وأبلغ، وأعمّ وأشمل، وأفصح من كل حديث، وأكثر تأثيراً من كل توجيه، وردت فيه آيات الذكر الحكيم، وفصّلت فيه أحاديث نبوية تنطق بجوامع الكلم، ومع ذلك فإنه يفرض نفسه بنفسه دون توجيه أو إرشاد.

لذلك كان رَمَضَانُ ظاهرة فريدة من عدة جوانب:

❑ رَمَضَانُ ظاهرة اجتماعية:

يعيشها أفراد المجتمع، الكبير والصغير، الغني والفقير، المحسن والمقتر، الرجل والمرأة، الصائم وغير الصائم، وتجتمع الأسرة الصغيرة على السحور والفطور، كما يجتمع الأقارب والأهل على الموائد، وتلتقي الجماهير في المساجد، ثم تتوسَّع اللقاءات في صلاة العيد، وينصهر المجتمع في يوم العيد، فيكون المجتمع واحداً في مظاهره وأعماله الدينية والدنيوية، ومن ثمَّ تتحقق وحدة الأمة بالشعائر من أقصاها إلى أقصاها.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة دينية:

تسمو فيه شعائر الدِّين، فتأخذ بالألباب، ويقبل فيه العصاة إلى ربهم، ويتسامى الصوام إلى بارئهم، ويعشق المتقون لقاء ربهم، ويخلو المعتكفون بالملائكة، ويلتزم الجماهير بالتديّن ظاهراً وباطناً، بمراقبة ذاتية إلهية ربانية، وتفتح لهم أبواب الجنان، وتصفّد الشياطين، ويخنس الأشرار، وتصفو الحياة من الشرور، وتجتمع فيه معظم أركان الإسلام من الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والعمرة.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة روحية:

فتعود الروح إلى بارئها بالمناجاه، والدعاء في الشهر الذي توسطت آياته بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البَقَرَة: 186]، وهنا تأنس الروح

بملائكة الرحمة، وتتجه إلى المساجد بالاعتكاف، وقيام الليل، والتسبيح والتذكير، والخوف، والرجاء، والطمع بجنات النعيم، وتبلغ الروح أسمى مناها في العشر الأخير، ثم في ليلة القدر، لتحيا روحياً وكأنها بدون أجساد، وترقى في العشق الإلهي، والحياة الروحية المحضة، مع غفران الذنوب، وتنقية الصحف من الكدر، وصفاء القلب من الران، وكأنهم ولدوا من جديد، وتعتق رقابهم من النار، ويستعدون لرياض الجنة.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة اقتصادية:

تلفت نظر التجار، ورجال الأعمال، والقائمين على التموين والمشرفين على عمليات البيع والشراء، فتنفق فيه الأموال، وتدخر له السلع الغذائية لتبسط على موائد الإفطار، وتستورد من أنحاء المعمورة، وتتحرك الأسعار، وتتضاعف الأرباح، فالتاجر ربحه مادي دنيوي، فإن قصد وجه الله فله نصيب وسهم في الآخرة أيضاً، والموسر الغني المعطاء ربحه أضعاف مضاعفة بالتجارة مع الله تعالى، وهل هناك أفضل من إطعام الطعام، وتأمين القوت للفقراء والمحتاجين، والمساكين والعمال والكادحين الذين يطوون الجوع طوال العام لتمتلئ بطونهم، وتتغذى أجسادهم في رَمَضَانَ بأطايب الطعام والشراب، والفواكه واللحوم؟ فيكون الاقتصاد في قمة تحركاته.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة فكرية:

بنشر الثقافة الإسلامية، وتوسع الصحف الدينية، والصفحات الإضافية بالفتاوى، والتوجيه والإرشاد، والوعظ، والبحث، والتغذية العلمية، وتتضاعف المجلات الدينية، وتتبختر بمواضيعها ومقالاتها، وتتفنن بعطائها وصورها واستطلاعاتها، وتكثر الدروس الدينية والرمضانية خاصة في المساجد والأندية وفي الإذاعات، والقنوات الأرضية والفضائية.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة قرآنية:

ففيه نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وفيه بدأ نزوله على

قلب سيدنا محمد ﷺ (وفيه تدارس جبريل عليه السلام القرآن مع الحبيب المصطفى، وفيه تختم التلاوة من معظم الناس، وفيه تكثر القراءة في الصلوات والتراويح والتهجد، ليكون القرآن أقرب ما يكون عملياً إلى الناس، وتفتح المصاحف في البيوت والمساجد، وتعمل أشرطة القرآن الكريم ليل نهار، وتمتلأ صفحات القنوات الفضائية به.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة صحية:

فترتاح معدة الأغنياء والموسرين، وتتجدَّد الخلايا، ويأخذ الجهاز الهضمي إجازته السنوية، فيطرد الشحوم، وتنشط الأعضاء المساعدة في الجسم، تأكيداً لقوله ﷺ: «صوموا تصحوا» وعودة إلى تطبيق المبدأ القرآني الخالد: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31].

بينما يتغذَّى الفقراء والمحرمون، ويأخذون حظهم المقدَّر الذي افتقدوه، أو حرموه طوال العام، وتوضع لهم الموائد العامرة فيلتفون حولها بنهم وإقبال وشوق وسعادة، حتى يشاركهم كثير من غير المسلمين، وهكذا تتجدد خلايا الجسم، ويصبح في أحسن أحواله صحياً.

❑ رَمَضَانُ شهر الأفراح والمسرات:

وذلك بفرحة المسلم برضاء الله، وتوفيقه للصيام والطاعة والعبادة، وفرحة الصائم حين يفطر، وفرحته بقبول صيامه ودخوله الجنة من باب الريّان الذي خصصه الله تعالى للصائمين، وفرحة التاجر بربحه مع ربه، وفرحة الفقير بغذائه وشبعه وثوابه، وفرحة الأقارب باجتماعهم، وعودة المسافرين والضاربين في الأرض إلى أوطانهم وأهلهم، ثم تأتي الفرحة الكبرى عندما تستقبل الملائكة القادمين إلى صلاة العيد، لاستلام جوائزهم، ثم تتم المصافحة، والتقبيل، والعناق، والدعاء، والبهجة، والضيافات طوال يوم العيد.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة أخلاقية وتربوية ونفسية:

فالصيام تهذيب للنفس، وتسامٍ للأخلاق، وسمو للقيم، وارتقاء للفضائل،

وكبح للهوى، وتربية اجتماعية وفردية، وصفاء للنفس من الأدران، فإن ساب الصائم أحدٌ قال بكل أدب وضبط للعواطف، وكبح للغرائز والشهوات، وترفع حتى عن المعاملة بالمثل، قال جهراً: «إني صائم، إني صائم» فيكون كاظماً للغيظ، عافياً عن الناس، مذكّراً غيره بالفضائل والقيم والسلوك الرشيد.

❑ رَمَضَانُ ظاهرة جهادية:

تبدأ من جهاد النفس، إلى جهاد الشيطان، إلى جهاد العلماء بالعلم، إلى جهاد الأغنياء بالأموال، إلى جهاد الشباب والمخلصين بقتال الأعداء، ومن ثمَّ إلى تحقيق الانتصارات، فكان رَمَضَانُ شهر النّصر، وهذا ما سجَّله التاريخ الإسلامي، وما تحقق فيه من انتصارات باهرة وحاسمة في شهر رَمَضَانُ، بدءاً من معركة بدر الكبرى، إلى فتح مكة، إلى معركة حطين، وعين جالوت، وغيرها من أهم الانتصارات التاريخية، لأن المؤمنين يبيعون أموالهم وأنفسهم للّه تعالى القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التّوبَة: 111]، ثم ينالون أعلى درجات الجنة بالشهادة ليكونوا مع الأنبياء والمرسلين، فلهم إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة والجنة.

نسأل اللّه العلي القدير أن يبلِّغنا رَمَضَانُ، وأن يبارك لنا فيه، وأن يعيننا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن يجعلنا من عتقاء شهر رَمَضَانُ.

كما نسأل اللّه تعالى أن يردنا ـ والمسلمين ـ إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يردنا إلى القرآن في شهر القرآن لتلاوته وتدبره وفهمه وتطبيقه والعمل به، لتتحقَّق لنا السعادة في الدنيا، ونسير على طريق النصر على الأعداء، وتحرير المقدسات.

كما نسأل اللّه تعالى أن يتقبَّل منا الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن، وأن يرزقنا تذوق طعم رَمَضَانُ، وتنسم عبيره، لنكون إن شاء اللّه تعالى من المرشحين لباب الرّيان في جنات النعيم، إنه سميع قريب مجيب.

كما نسأل الله تعالى أن يرزقنا الأنس الكامل بالقرآن، وتحقيق معناه عملياً، لنقيم المجتمع الإسلامي في الأرض، وننعم بالسعادة في الدنيا التي هي مزرعة للآخرة، فنكون عندئذ مسلمين حقاً، وصائمين صدقاً.

هذه المعاني السامية، والمشاعر الدينية والدنيوية دفعت الأخ الفاضل الأستاذ **الشيخ مروان وحيد شعبان التفتنازي**، إمام وخطيب مسجد جامعة الشارقة، إلى كتابة هذه النفحات الرمضانية، لتكون تصويراً للواقع، وتجسيداً للأفكار، وتذكيراً لعباد الله تعالى، ملتزماً بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذّاريات: 55]، ومنفذاً للحديث النبوي «**الدّين النّصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وقد عرفنا الشيخ مروان طالباً في الجامعة، وباحثاً في الدراسات العليا، وخطيباً مفوَّهاً، وإماماً تقياً صالحاً في الصلاة، ونحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً، وما نقول إلّا ما نعلم، مع حرصه على طلب العلم، والزيادة فيه، والانكباب على البحث، ومواصلة التعليم والاندفاع لدين الله، والإخلاص لشرعه، والاستقامة في الحياة والعمل، والجرأة في قول الحق، والالتزام بالواجبات، وأداء الأعمال، والوفاء بالوعد، والحرص على الاستفادة والإفادة، ومتابعة العلماء ومجالستهم ومزاحمتهم، ومشاركتهم، مع تتبعه للانحراف، والغضب لله تعالى، والتذكير في كل مناسبة، مع حفظه للقرآن الكريم بشكل كامل ومتقن.

وقد استفاد الشيخ مروان من شيوخه وأساتذته في الجامعة، واستفاد من بحوثه التي شارك بها في بعض الندوات والمؤتمرات بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، كما استفاد من بحوثه في الدراسات العليا، وتقديم بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، واستفاد أكثر من كل ذلك من ممارسته للدعوة والإمامة والخطابة بمسجد الجامعة المتميز بحضوره وجمهوره من أعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلاب، ومن يؤم المسجد من خارج الجامعة، استفاد من كل ذلك خبرة في الناس والمجتمع والدعوة والتوجيه والوعظ والإرشاد والكتابة، والربط بين القرآن والسنة والأحكام الشرعية والآداب الإسلامية وحاجة المجتمع

والأفراد للتذكير والتوجيه والوعظ والإرشاد، وهذا ما دفعه لتتويج أعماله بكتابة هذه النفحات الرمضانية.

عرض الشيخ مروان هذه النفحات الرمضانية لتكون درساً لكل مسلم عامة، وعوناً للطالب، وتذكيراً للصائم والملتزم بأحكام دينه، وإرشاداً للباحثين، وتسجيلاً للمناسبات الرمضانية، ودعوة للغافلين عن الله، والسادرين في مشاغل الحياة، وكأن الدنيا هي غاية آمالهم، ومنتهى طموحهم.

ولذلك سار في ترتيب هذه النفحات مع أيام شهر رَمَضَانَ ولياليه، ابتداء من استقباله ثم بأسراره، وبيان أعظم الأحداث فيه بنزول القرآن والانتصار بغزوة بدر، وتحييباً بليلة القدر.

ومروراً بالتجليات الإلهية على الصائمين الذاكرين، المتعلمين، العابدين، القائمين، المعتكفين، مع الدروس المستفادة من أيام رَمَضَانَ ولياليه في استغلال الوقت والدعاء، والبذل والعطاء، والعفو والتسامح، والتكافل الاجتماعي، ومد يد العون لليتامى والمنكوبين والإصلاح بين الناس، والتوبة والاستغفار، لتحقيق التقوى والاستقامة في رَمَضَانَ، والتزود منه لسائر العام، إلى أن يصل إلى المشاعر الرقيقة ـ السعيدة والحزينة معاً ـ لوداع رَمَضَانَ، وختم النفحات بفرحة العيد السعيد، وبهجته التي تعم الأرجاء، ويقبض فيها الصائمون جوائزهم، ثم يتابعون سيرة العمر وسنة الحياة على هدى القرآن والسنة والتربية الإسلامية ليفوزوا برضوان الله تعالى وسعادته في الدنيا، وبالنعيم والجنة في الآخرة إن شاء الله تعالى، إلّا من نكص على عقبيه وعاد القهقرى، وودَّع رَمَضَانَ مع نفحاته وبركاته وأعماله ودروسه، ثم انغمس في ملذاته وشهواته وانحرافاته الفكرية والسلوكية، ليكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً وهدمت ما بنت، وأضاعت ما جنت، فأصبحت صفر اليدين، خاوية الوفاض، ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم، وإلا فئة أخرى أسوأ من تلك وهي التي لم تحس ولم تشعر بقدوم رَمَضَانَ وانتهائه، ولم يلامس رَمَضَانَ حياتها، فأفطرت في رَمَضَانَ، وجاهر بعضهم بكل وقاحة بالفطر والهزء من الصيام فكان مثلها: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ

ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجُمُعَة: 5] ولا نملك لهؤلاء وأولئك إلّا الدعاء بالهداية والثبات على الإيمان، والعودة إلى حظيرة الدِّين، ونردد قول الحبيب المصطفى: «**اللَّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**».

وقد سيطر الأسلوب الخطابي على الموضوع، مع تحريك العواطف، وإثارة الأشجان، والترغيب بالخيرات الحسان، والتحذير والترهيب من التقصير والإعراض عن موائد الله تعالى في رَمَضَانَ، مع طول الفقرات والإسهاب في العرض، وبعض التكرار، ونقص العناوين الجانبية التي تعين القرّاء على التركيز، وتأخذ بيده للمتابعة.

وتمتاز هذه النفحات بأسلوب بديع، وتحسينات لفظية وبلاغية، وغزارة الألفاظ المنتقاة والثروة اللغوية، والصور البيانية، فيستفيد منها القارئ لغة وأدباً وبياناً، مع التمتع بالناحية الفكرية والروحية والنفسية، والربط بالواقع والحياة أحياناً، والتحليق في الخيال والسماء والأفق أحياناً أخرى.

واستشهد الشيخ مروان بالآيات الكريمة وذكر ورودها في القرآن والسورة ورقم الآية، ثم أردفها بالأحاديث النبوية الشريفة، وعزاها إلى كتب السنة، وذكر بعض الآثار عن الصحابة والتابعين، ونقل نصوصاً وأقوالاً للأئمة وعلماء السلف من الحِكم والنصوص الجذابة، وشغف الأسماع: ببعض الأشعار والنظم الموزون، والأقوال المأثورة، واستعان ببعض الدراسات المعاصرة في الأمور الطبية، والأغذية، والإعجاز العلمي المعاصر، مع تقديم النصائح المتنوعة، والإرشادات المفيدة، والتنبيه للآداب الدينية، والأحكام الشرعية، والعادات الاجتماعية، والقيم والأخلاق، ثم حذَّر من بعض الأمراض الفردية والجماعية والسلوكية كالغيبة والنميمة وضياع الوقت، التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية، وقيم رَمَضَانَ وآدابه.

ونسأل الله تعالى أن ينتفع الناس بهذه النفحات الرمضانية، وأن تكون لهم تذكرة وذكرى، ودعوة ونصيحة، ليتخذوا من معانيها نبراساً في الحياة.

كما ندعو الله تعالى أن يحفظ الشيخ مروان، وأن ينفع بعلمه، وأن يبارك في

إنتاجه، وأن يديم عليه نعم الله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

كما نرجو الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما يعلمنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

❦ ❦ ❦

مقدمة فضيلة الشيخ مظهر فايز قيمة

الحمد للّه العزيز الوهاب، منشئ السحاب، وهازم الأحزاب، ومنزل الكتاب، على حوادث مختلفة الأسباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ قاد جيوش المؤمنين الموحّدين على هدي من السنّة والكتاب، فتح به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وأعيناً عمياً، فكان وما زال ربيع قلوب المؤمنين، ونور صدورهم، وجلاء همهم، وذهاب حزنهم، لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ففي كل لحظة، ومع كل مناسبة ترى القرآن الكريم موجهاً وحاكماً، ومحدداً معالم طريق الهداية في الدنيا للفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153].

ذلك القرآن الكريم، والهدي النبوي العظيم الذي صاغ أولئك العظماء الذين تحلقوا حول رسول الله ﷺ وتخرجوا من مدرسته، فنالوا من الله تعالى كل تكريم، حتى أثنى عليهم في محكم التنزيل بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وبقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].

فأخلصوا للّه، وحملوا الرسالة، وأدوا الأمانة، حتى تخرَّج من مدارسهم علماء ربانيون غصَّت المكتبات بمؤلفاتهم، وتصانيفهم، وعاشت الدنيا على موائدهم وما زال الزمان ـ بفضل الله ـ يجود بالعلماء وطلاب العلم، والدعاة إلى

الله تعالى تكتحل العين برؤيتهم، وتقرّ بجودهم وعطائهم وإخلاصهم، لأن هذا العلم الذي يحمله عن كل سلف عدو لهم، فللّه الحمد والمنة، الذي هيأ الأسباب لحفظه، والدعاة لحمله وتبليغه.

هذا وإن أخانا فضيلة الشيخ مروان وحيد شعبان واحد من أولئك العلماء الذي عرفته مذ عرفته، عرفت فيه الحرص على البحث والتدقيق وطلب العلم، كما عرفت فيه البلاغة في القول، والدماثة في الخلق، والابتسامة الوادعة، والكلمة الحانية، والاعتدال في الدعوة، والحب في الله، وليس ذلك بمستغرب على من حمل بين جوانحه كتاب الله، أكثر الله من أمثاله من الدعاة والعلماء.

وحيث أقبل علينا شهر كريم، فيه ليلة مباركة كريمة، وفيه ذكريات... إشراقة الأرض بنور القرآن الكريم، وتحقيق النصر المبين على الجبابرة المتكبرين، الذين أعرضوا عن وحي السماء، وأقبلوا على عبادة البشر والتربة والماء، فإذا بالعقل يتألق، وبالفكر ينقدح عن تلك النفحات الرمضانية، حيث هي العصارة الفكرية التي يقدمها فضيلته، لكي تخرج من الانحباس إلى الإشراق، تسطر على الصفحات، ولتوضع على عتبات الشهر الكريم، بين يدي المؤمنين الصائمين المتقين والدعاة المخلصين.

وقد أكرمني الله تعالى بقراءة تلك النفحات، أقلّب صفحاتها، وأقرأ عبائرها، وأمتّع النظر بكلماتها، والعقل والقلب بمعانيها، فجاءت محققة لأهدافها وغاياتها، أسأله سبحانه أن يحقق ذلك لقارئها، فقد جاءت شاملة وأكثر، تحقق فيها إلى جانب الشمول، الموضوعية، والدقة في التحقيق، والإخلاص في النية، شعرت وأنا أقرؤها بأن الروح تتكلم، والقلب يخفق، واللسان يترجم، والقلم يسطر، لتكون تلك النفحات بين يدي المسلمين من عالم حريص على العلم، ومسلم متعلم، وعاقل متألم، الكل يأخذ حظه منها، على قدر علمه وفهمه وحرصه.

ولا أريد أن أكرر ما جاء في أبواب الكتاب وفقراته، حتى يزداد شوق القارئ إلى التمتع بمحتوياته من أسطره وكلماته، لأنك أخي القارئ سوف تستمتع إذا قرأت هذا الكتاب بنفحاته، كبستان فيه الحلل السندسية، والأشجار الباسقة، ذات

الظلال الوارفة، والأنهار الجارية، والثمار اليانعة، بذلك تعيش شهر رَمَضَانَ كما عاشه أسلافنا من الصالحين العابدين الذين صاموه صوم خصوص الخصوص.

وللأخ الكريم فضيلة الشيخ مروان كل التقدير، أسأله سبحانه أن يجزيك خير الجزاء، وأن يثبتنا والمسلمين على ديننا، ويوفقنا لصالح الأعمال، حتى ننعم بدفء الإسلام، والأمن والأمان، إنه سبحانه خير مسؤول وأكرم مأمول.

والله وليّ المتّقين

مظهر قيمة

المقدمـــة

الحمد للَّه رب العالمين مقلب الشهور والأيام، ومضاعف الأجور للأنام، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ سيد الأنام، أفضل مَن صلى وصام، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

في كل عام يهلّ علينا هلال شهر رَمَضَانَ المبارك، ويهل معه الخير كله، والعطاء كله، والجود كله، لأنه شهر الذكر والقرآن، والرحمة والمرحمة، وشهر التقوى والمغفرة، فيه نفحات ومبرات، وقربات وخيرات، شهر جعله الله تبارك وتعالى سيد الشهور وأفضلها، ووضع فيه من المزايا والخصال ما لم يضع في غيره، فطوبى ثم طوبى لمن أدركه، واغتنم فضله، وخرج منه مغفوراً له.

شهر عظيم مبارك، تهفو نفوس الصالحين إليه، وقلوب العابدين حباً وشوقاً لبلوغه، وكيف لا يشتاقون إليه، وفيه يجبر القلب الكسير، ويغفر الذنب العظيم، وهو محطة للعبرة والذكرى، والتوبة والأوبة، والاصطلاح مع الغفور الرحيم، يعيد للنفوس بهجتها، وللقلوب صفاءها، وللحياة مسراتها، فمرحباً به ضيفاً عزيزاً كريماً...

بالأمس ودعنا رَمَضَانَ، واليوم نستقبل رَمَضَانَ، رَمَضَانَ مضى، ومضت معه سنة كاملة، حملت معها أعمال العباد، من الصالح والطالح، والعابد والغافل، والمقدم والمؤخر، وأخذت معها من الأهل والأصدقاء والخلان، وما الله بعددهم عليم.

وها هو ذا رَمَضَانَ أقبل، وأقبل معه الفضل العظيم، والثواب الجزيل، بمقدمه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتكبل الشياطين، وتصفد

المردة، وينطلق العباد إلى مزرعة الروح والريحان، والجنة والرضوان، أرضه خصبة، وسماؤه ندية، وزرّاعه العبّادُ الصالحون، الذين أكرمهم الله تعالى ببلوغه، فشمَّروا عن سواعد الجد والعمل، لأنه موسمهم، وفرصتهم التي لا تعوض.

وبهذه المناسبة أحببت أن أقدم لكل مسلم «نفحات رمضانية» هدية حافلة بالأشواق والتحيات الزكية، عنوانها الحب في الله، وهدفها ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذّاريات: 55].

وكان الدافع لكتابة هذه النفحات، أن هذا الشهر الميمون، هو موسم الدعاة المحب، ففيه ينشطون ويجتهدون، وبسبب الأعمال الكثيرة التي يتوجب على الداعية أن يقوم بها، فإن وقته يضيق عن المطالعة والبحث في المصادر العلمية، والذهاب إلى المكتبات العامة أو الخاصة، أو حتى على مواقع وساحات الإنترنت.

ومن جملة الأعمال التي تفرض نفسها في رَمَضَانَ، المحاضرات الدينية في المسجد، وهذا ما يؤديه الدعاة والأئمة في مساجدهم، فلابدّ من محاضرة أو أكثر يومياً.

ومن ذلك صلاة التراويح التي تستلزم وقتاً ليس بالقليل لمراجعة واستذكار القرآن الكريم، ومن ذلك المحاضرات والندوات التلفزيونية والإذاعية، التي تنشط وينشط فيها الدعاة لتعليم الناس وتوجيههم، وإزداء النصائح والإرشاد لهم، ومن ذلك اللقاء المتواصل مع الناس والأهل والأحباب وغير ذلك من الواجبات المتعددة.

من هنا كان من الصعب على الداعية أن يجد فرصة للرجوع إلى المراجع لتحضير محاضراته اليومية، أو غيرها مما أشرنا إليه، ففكرت عندها أن أكتب كتاباً يكون جامعاً لثلاثين محاضرة، تأتي بشكل رتيب ومتساوٍ مع أيام الشهر المبارك من أوله إلى منتهاه، وحرصت أن تكون المحاضرة مستوفية لجوانبها، وافية لموضوعها من حيث المحاور، وما يرتكز عليه كل محور من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية،

وأبيات شعر تعزز المعنى المطروح، وغير ذلك من الفوائد البلاغية، واللطائف البيانية، والمسائل العلمية والطبية المتعددة، بحيث تجتمع في المحاضرة مادة علمية جيدة، تغني المحاضر والخطيب عن العودة إلى الكتب والمراجع، لا لفضلها على ما دونه الأفاضل ـ حاشا وكلا ـ ولكن لجمع مادتها وتبويبها وتهذيبها في إطار يسهِّل طرحها وإلقائها.

علماً أن عدداً من الأساتذة الأخيار قد كتبوا حول رَمَضَانَ وأيامه، وأحداثه وذكرياته، إلّا أن ما كُتب كان عبارة عن خواطر تصاد وتدون، أو قطوفاً جميلة لا تتعدى فكرة أو اثنتين، أو كتابات أخذت طابعاً فقهياً تبيّن المسائل والأحكام المتعلقة بالصيام، سواء ما ذكره العلماء والمجتهدون قديماً أو ما استجد من قضايا معاصرة حديثاً، ولم تخلُ هذه الكتب أو تلك من إشارات تربوية، وتوجيهات روحية، لكن لم أجد من خصص كتاباً من ثلاثين محاضرة، بسط في المحاضرة وأعطاها حقها بحيث يغني الباحث البحثَ في سواها...

وأسميتها «**نفحات رمضانية**» وكسوتها حلة أدبية تشد قارئها، وطرحت فيها من الأفكار واللفتات والمحسنات، ما يسهم في مواصلة مطالعتها، وعدم الملل في السير مع وهادها ونجادها، وعند الإطلالة وفي الختام.

وبمناسبة مقدم شهر رَمَضَانَ المعطاء، أزفها هدية لكم من قلب أحبكم في الله تعالى، داعياً لكم وللأمة الإسلامية بالتوفيق والسداد، وأن يجعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر المبارك شهر عز ونصر وتمكين لهذه الأمة، وأن يقدم فيه المسلمون ما هو أهله، وما هم أهله، وأن يكون سبباً في عودتهم إلى الله تبارك وتعالى، وعودتهم إلى بعضهم البعض بالوحدة والتكاتف والتراحم.

وأرجو من العليم الخبير أن تكون هذه النفحات عوناً للدعاة في دعوتهم، وللأئمة والخطباء في مساجدهم، وللمعلمين في قاعاتهم، وللآباء والأمهات في منازلهم، وللأحباب في كل شؤون حياتهم.

وما كان في هذه النفحات من خير وسداد، فالخير كل الخير من الحنان

المنان ذي الجود والإنعام، وما كان فيها من نقص وهناتٍ، فهذا شأن الإنسان الناقص القاصر، الذي يستقيم أمره، ويسد عيبه، بنصائح المخلصين، وتوجيهات المتقين.

وأسأله تعالى الإخلاص في القول والعمل، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

مروان وحيد شعبان

في ليلة الإسراء والمعراج

27 رجب 1424 من الهجرة